مقومات الشخصية القيادية للصحابي عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

حافظ لصفر

بكالوريوس في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع

ماجستير في إدارة الموارد البشرية وماجستير في الإدارة التربوية وماجستير في القيادة المجتمعية

باحث دكتوراه في الفلسفة

الحلقة (١)

القيادة هي العقل والقلب النابض لكل المنظمات، فالحديث عنها قديم قدم التاريخ، حيث تعددت مفاهيمها بتعدد الاتجاهات والأطر النظرية عبر مراحل تطورها، فالبعض اتجه إلى تعريفها على أنها مجموعة من الصفات الشخصية، وآخرون اعتبروها ولاية وسلطة رسمية، بينما ركزت الدراسات الحديثة على أن القيادة سلوك وتفاعل وتأثير على الآخرين، ومن أدوارها صناعة قادة أكفاء.

هذا ما قام به عمر رضي الله عنه الذي تلقى تربية نبوية على الطريق المستقيم، وزاد من قوتها تنشئته الاجتماعية على الصدق والبيئة الصعبة ذات خصائص كسبية للقوة والصلابة في المواقف التي تحتاج إما للشدة أو للمرونة في المعالجة والتناول، وكان قائدا فذا بنى الدولة الإسلامية انطلاقا من القيم الإسلامية السمحة من تخطيط وتنظيم وتوجيه ونصح وإرشاد وتتبع وتقويم للسياسات العامة للأمصار، موليّا ولاة وعمال أتقياء، وكل من خالف الشرع، ولم يراع أحوال العباد، أعفاه وعاقبه، لأنه كان خليفة عادلا وفطنا ومنصفا، فلا يخاف في الله لومة لائم، بل الحق والعدل ميزان حكمه، وليس كقادة اليوم، فالواحد منهم، لا يشغله سوى كرسيه أن يُنزع منه، وكانت مشروعيته القيادية يستمدها من روح الشريعة الإسلامية، ومن الرعية بخدمتها وإكرامها وإحقاق الحق في التعامل معها، عكس من يستمدها من قوة منصبه وسلطته، وما يملكه من أجهزة إيديولوجية وقمعية، ويسلم زمام الأمور القيادية الحساسة لمن ليس أهلاً بها، فالخلافة العمرية تميزت بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية، حيث تجلت في توزيع الثروات بالعدل

والمساواة،عكس القيادات الحالية المتمركزة على ذاتها وحاشيتها، وغير مهتمة بأحوال الرعايا، ففي عهده كانت المواطنة مكتملة غير منتقصة، كما هي في القرن الواحد والعشرين.

معظم الدراسات قاربت سيرته العطرة وميزات شخصيته، لكنها لم تقم بتحديد امتداداتها في ظل القيادة المعاصرة في شتى المجالات، وبالأخص جداراته (كفاياته) في صناعة قادة للمستقبل، مع العلم أنه لم تكن له دراية بنظريات علم القيادة المعاصر، فلا تكوين أكاديمي في ذلك الزمن ولا دراية بالعلوم الإدارية المعقدة والمتشعبة حاليا، والسبب راجع لتربيته وتكوينه داخل المدرسة المحمدية الربانية الإيمانية الصادقة، المنطلقة من تربية وصقل الروح على التعلم والانصات والحكمة الراشدة المنبثقة من تعاليم القرآن الكريم والمصاحبة لأخلاق وروح الرسول الفطرية، والتي تتلقى منهاجها من عند الله، هذه التربية الإيمانية الخالصة لله، أصلحت الذوات أولا، ثم العقول بالتربية الإيمانية قلبا وقالبا، عطاء غير محدود، غايته إعلاء كلمة الله في العالم، كما أن الوسط البيئي الصحراوي جعل من شخصيته الرجل القيادي الجامع بين المهارات الفنية والإنسانية والمعرفية–البيئية والفطرية.

خصائص القيادة ومكوناتها ومميزات القيادة في الإسلام

المبحث الأول: خصائص القيادة ومكوناتها

مفهوم القيادة

القيادة: هي القدرة على التأثير على الآخرين وتوجيه سلوكهم نحو تحقيق الأهداف المشتركة، فهي مسؤولية تجاه المجموعة التي يتم قيادتها لتحقيق النتائج المرسومة أو هي عملية التأثير في نشاطات الجماعة بهدف تحقيق الأهداف، وتعبر القيادة بوجه عام عن القيام بتلك الأعمال التي تساعد المنظمة على تحقيق أهدافها، وفي تعريف آخر هي: القدرة على معاملة الطبيعة البشرية أو على التأثير في السلوك البشري لتوجيه جماعة نحو تحقيق أهداف مشتركة بطريقة تضمن بها طاعتهم واحترامهم، ومنها يتم تعريف القائد على أنه الشخص الذي يستخدم قدراته وقوته ليؤثر على سلوك وتوجيهات الأفراد من حوله ليحقق أهدافهم المشتركة، فهناك ثلاثة مصطلحات رئيسة ومرتبطة مباشرة بالقيادة، وهي: القوة والتأثير والسلطة.

- **القوة**: هي القدرة الكامنة على التأثير في سلوك الآخرين، حيث ترتبط القوة بشكل عام بالسيطرة على الموارد القيّمة أو النادرة.
- **التأثير**: عملية تبرز عندما يمارس شخص ما قوته بوعي منه أو بغيره في تعديل سلوك واتجاهات شخص آخر.
- **السلطة**: هي القوة الناتجة أو الممنوحة من قبل المنظمة.

الفرق بين القيادة والإدارة: تعرف القيادة الإدارية بأنها نشاط يمارسه القائد الإداري في مجال اتخاذ القرارات وإصدار الأوامر والإشراف على الآخرين بموجب السلطة الرسمية الممنوحة له، بحيث يسعى من أجل التأثير على سلوك الآخرين لتحقيق الهدف.

وظهر مفهوم القيادة منذ القدم، لكن مفهوم الإدارة مفهوم حديث، ومن هنا فإن القيادة ما هي إلا فرع من فروع الإدارة، وتتكون العملية الإدارية من أربع وظائف وهي: التخطيط، والتنظيم، والتوجيه، والرقابة، ويمكن تلخيص أهم الفروق بين القيادة والإدارة، حيث أن الثانية تركز على المنطق أكثر من الأولى التي تركز على العاطفة، وتهتم الإدارة بالتفاصيل والجزئيات، على عكس القيادة التي تركز على اختيار العمل الصحيح، بالإضافة إلى أن عملية القيادة تقوم على ثلاثة أمور رئيسة وهي: تحديد الاتجاه والرؤية، وحشد القوى نحوها، والتحفيز وحشد الهمم لتحقيق الأهداف المرجوة.

مهارات القيادة

لا ريب أن كل قائد يحب أن يمتلك صفات أو مهارات تساعده على التأثير في سلوك الأفراد وتحقيق أهدافه، ولكي يستطيع تفهم الأطراف الثلاثة لعملية القيادة المشكلة من القائد والأتباع والموقف، فلا بد أن يحوز أو يكتسب أربع مهارات لكي يحقق أهداف الأفراد، ويرفع درجة رضاهم، وهذه المهارات هي:

- **المهارة الفنية**: تتمثل في قدرة القائد على إتقان العمل، وأن يكون بارعا في إجادته، وقادراً على استثمار المعلومات المتوفرة لديه، بحيث يحللها بدقة وفق الطرق والوسائل والإمكانيات المتاحة له لإنجاز العمل، وأكثر ما يميز هذه المهارات أنها أكثر تعييناً، بالإضافة إلى أنها أيسر اكتساباً من المهارات الأخرى.

- **المهارة الإنسانية**: ترتبط بأسلوب التعامل مع الفريق من أجل كسب تعاونهم وإخلاصهم له وللمنظمة، وبالتالي الزيادة في الإنتاجية والعطاء، بالإضافة إلى أن يتمتع القائد بالقدرة على التعرف على متطلبات العمل بين الفرد والجماعة.
- **المهارات التنظيمية**: وتعني قدرة القائد على فهم التنظيم الذي يقوده، وطبيعة الترابط بين أجزائه وأهدافه ووظيفته، واستيعاب العلاقات بين الأفراد وضبطها، ولذلك يحتاج القيادي الناجح إلى مهارات مهنية متعلقة بمجال العمل، ليتمكن من تحقيق الهدف الذي تسعى إليه المنظمة التي يرأسها، زيادة على الالتزام بقواعد العمل وأخلاقه وأدبياته.
- **المهارة الفكرية**: وهي أن يتمتع القائد بقدرات استبصارية – تحليلية واستنتاجية، ويتميز بالمرونة والانفتاح والقدرة على إيصال الأفكار للغير، وكذلك القدرة على التطوير بما يلائم العصر والتأقلم مع المتطلبات التي يحتاجها كل عصر وظرف أو ما يسمى بمقاربة المواءمة والاستدامة، وبالتالي فإن أهم السمات والمهارات التي يجب أن تتوفر في القائد تكمن في التأثير والإقناع وإحداث التغيير، وأن يمتلك قدرات ذاتية تخدم أهداف العمل، فالقائد بحاجة إلى فريق متناغم، وهدف مرسوم، يسعى هو والأفراد إلى تحقيقه من خلال أسلوبه الذي ينبغي أن يتحلى فيه بخصال ومواصفات الإقناع والتأثير ونقل الأفكار بطريقة إيجابية تقرب، وتسهل عملية تحقيق الهدف المراد بلوغه.

أهمية القيادة

لا بد للمجتمعات البشرية جميعها من أن تكون لديها قيادات تقوم بترتيب حياتها، وتقيم العدل وتسعى إلى تحقيق أهداف الأفراد والمجتمع، وتكمن أهمية القيادة فيما يلي:

- القائد هو صلة الوصل بين الأفراد وبين خطط المؤسسة.
- محور وركيزة المفاهيم والاستراتيجيات والسياسات التي تؤسسها المنظمات والمؤسسات.
- دعم القوة الإيجابية والتقليل من الجوانب السلبية داخل العمل.
- التحكم في المشاكل والتقليل منها، وحسم الخلافات والفصل بين الآراء المختلفة.
- تنمية قدرات الأفراد باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من العملية القيادية.
- القيام بالتغييرات اللازمة بما يلائم المكان والزمان واستراتيجيات العمل.

- تسعى إلى تحقيق الهدف المرسوم وتسهيل سيرورة العمل.

المبحث الثاني: مميزات القيادة في الإسلام

كان النبي عليه الصلاة والسلام مثالاً للقائد الناجح الذي استطاع خلال مراحل حياته قيادة الأمة لما فيه صلاحها وسعادتها في الدنيا والآخرة، وسار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم على هديه عليه الصلاة والسلام في الحكم والسياسة والإدارة، فكانوا خير قادة يخلفون نبي الله في قيادة الأمة، فشهدت عهودهم تطورات عظيمة في شكل الدولة الإسلامية من حيث التنظيم واتساع الرقعة، وزيادة الموارد المالية وحسن ترشيدها وإدارتها حتى أصبحت الدولة الإسلامية قدوةً للأمم حولها، ومن المعين النبوي انبثق قادة المستقبل، ومنهم نستنبط صفات القائد في الإسلام الذي يتمتع بصحة العقيدة التي تضمن سلامة المنهج، مؤمنًا بربه إيمانًا قاطعًا لا يتسلل إليه الشك، مدافعًا عن دينه، مؤمنًا بالقيم والمبادئ التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، ومما لا شك فيه أنّ الإيمان يولد لدى القائد المسلم العزيمة التي تحثه على السعي لتحقيق الغايات والأهداف التي آمن بها، ومن الأمثلة التي تدل على إيمان القائد العظيم بربه ودينه موقف الفاروق عمر رضي الله عنه، حينما سار إلى بيت المقدس ووطئ الطين بقدميه عند وادي عمواس، وحينما لامه الصحابي أبو عبيدة بن الجراح على ذلك قال: (إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله) [إسناده صحيح أو حسن].

التشاور والعمل بمبدأ الشورى فرضه الله عز وجل جلاله "وشاورهم في الأمر"، فمن صفات القائد الناجح في الإسلام أنّه لا يستأثر برأيه دون الناس، معتقداً أنّه الصواب وما دونه الباطل، مثلما فعل فرعون مع قومه حينما استخف بعقولهم، بل ترى القائد المسلم يحرص على مشاورة أهل الخبرة والاختصاص والعلم والمعرفة حتى يضمن صحة القرار الذي يتخذه، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يشاور أصحابه، واتبعه الخلفاء الراشدون، وكثير من الخلفاء المسلمين بعدهم، زيادة على العدالة والمساواة بين الناس، فمن صفات القائد في الإسلام أنّه يعدل بين رعيته ومن يسوس شؤونهم، فلا يظلم أحداً أو يحابي فردا على آخر، بل يحقق العدالة والمساواة بينهم جميعًا، أما بالنسبة للقدوة الصالحة كان عمر يعطي النموذج الحسن لأصحابه سيرا على خُطا وسيرة المصطفى عليه السلام "كان قرآنا يمشي"، فالقائد المسلم قدوة لرعيته، فلا يأتي من الأفعال ما يخالف أعراف الناس، بل تراه أول الناس التزامًا بالمنهج الذي يأمر به الخالق، ففي كتاب "تحديات القيادة" لجيمس كوزيس وباري بوسنر توصل المؤلفان إلى خمس ممارسات

للقيادة المتميزة، وهي آخر ما توصل إليه علماء القيادة فيما يجب أن يتمتع به القائد الناجح، كلها نجدها متجسدة في شخصية عمر بن الخطاب، والتي تبلورت على الشاكلة التالية:

- تجسيد القدوة: كان رضي الله عنه قدوة في القول والعمل والسلوك للأمة.
- يلهمون الآخرين برؤية مشتركة، قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: "خلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال"[1].
- تحدي طرق العمل: "إن لم تتحمل الصعاب، فلا يمكنك أن تصبح الأكثر نجاحا"، مارس مهنة التجارة ورعي الغنم، ولقي صعابا مناخية واختبارات في حسن إدارة أزمات صحية ودينية ألمت بالأمة في بداية فتوتها كحروب "الردة" وأزمة وباء الطاعون.
- تمكين ودعم الولاة والعمال والقادة العسكريين والمحتسبين.
- تشجيع القلب (التحفيز)[2]: "إن القيادة ليست شأنا من شؤون العقل، بل هي شأن من شؤون القلب"، فكلما مارس القائد الممارسات الخمس السابقة، كلما زاد احتمال تركه أثرًا إيجابيًا على الآخرين (الذين يتم قيادتهم).

[1] عباس محمود العقاد "عبقرية عمر" مطابع المنطقة الصناعية الرابعة مدينة السادس من اكتوبر الطبعة المنقحة العاشرة، 2006 ص6

[2] جيمس كوزيس وباري بوسنر "تحديات القيادة" قراءة عبد الرحمان رشيد مكتبة جرير الطبعة الخامسة